(٧٠) أبو حمزة الخراساني[١]

ذكر الشيخ أبي حمزة الخراساني[٢] قدّس اللهُ روحه ونور ضريحه:

كان رحمه الله من جملةِ المشايخ، ومن أكابرِ الطريقة، رفيعَ القدر، عالي الهمَّة، وفي الفِراسة عديمَ النظير، وفي التوكُّل مُساميًا إلى الغاية، وفي التجريدِ مُجتهدًا.

وله رياضاتٌ وكرامات كثيرةٌ، ومناقبُ عزيزة، وخلواتٌ جيدة.

لقي الجُنيد، وأبا تُراب النَّخشبي رحمهم الله.

نقل أنه رحمه الله دخل نوبةً في البادية على التوكّلِ، والتزم أن لا يقبلَ من أحدٍ شيئًا، ولا يطلبَ ولا يلتفتَ إلى أحدٍ، وكان معه شيءٌ من الدراهم، فوقع في باله: أنَّ الله الذي رفعَ السماء بلا عمدٍ، قادرٌ أن يحفظَكَ ويُمسكَ معدتَكَ وقوَّتَكَ بلا هذه الدراهم. فأخرجها ورماها، فبينا هو يمشي إذ وقعَ في بئرٍ، قال: فنازعتني نفسي أن أَستغيثَ، فقلتُ: لا والله، لا أَستغيثُ، فما استممتُ[٣] هذا الخاطرَ إذ مرَّ برأسِ البئر رجلان، قال أحدُهما للآخر: تعالَ

---

(١) طبقات الصوفية ٢٩٥، ٣٢٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٠، تاريخ بغداد ١/ ٣٩٠، الرسالة القشيرية ٩٦، طبقات الحنابلة ١/ ٢٦٨، مناقب الأبرار ٦٢٦، صفة الصفوة ١/ ٢٦، ٢٧، ٢٨، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٢٩٠، مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٣٤٩، و٢٨/ ٢٤٣، سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٦٥، الوافي بالوفيات ١/ ٣٤٤، طبقات الأولياء ١٥٠، ١٥٥، النجوم الزاهرة ٣/ ٤٦، نفحات الأنس ١٠٧، طبقات الشعراني ١/ ٩٩، و١٠٣، الكواكب الدرية ١/ ٥٥٠، ١/ ٦٩٧: (محمد بن إبراهيم)، و ٤/ ١٢٧، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٧٠، وانظر ترجمة أبي حمزة البغدادي التي ستأتي برقم (٧٩)، ففيها أخبار مشتركة مع ترجمتنا هذه.

(٢) في (أ): أبي حمزة الخرماني.

(٣) كذا في الأصلين.

نسدَّ رأسَ هذا البئر؛ لئلا يقعَ فيها شخصٌ. فأتوا بقصبٍ وباريةٍ، وطمُّوا رأسَ البئر، فهممتُ أن أصيحَ، فقلتُ في نفسي: إلى من تستغيث؟ وهو ـ أي الحقُّ ـ أقربُ من كلِّ شيءٍ. وسكنتُ، فبينا أنا في البئر إذ جاءَ شيءٌ، وكشفَ عن رأسِ البئر، وأدلَى رجلَه، فكأنَّهُ يقول: تعلّقْ بي. في همهمةٍ له كنتُ أعَرفُ ذلك منه، فتعلّقْتُ برجله، فأخرجني، فإذا هو سَبُعٌ، فمرَّ، وهتف بي هاتف: يا أبا حمزة، أليس هذا أحسنَ؟ نجّيناك من التلفِ بالتلف[١]، فمشيتُ وأقول[٢]:

نهاني حيائي منك أَنْ أَكتمَ الهوى[٣] فأَغنيتني بالفهمِ منكَ عن الكشفِ
تلطَّفْتَ في أَمري فأَبديت شاهدي إلى غائبي[٤] واللُّطفُ يُدرك باللُّطف
أراكَ وبي من هيبتي منك وحشةٌ فتُؤنسني باللُّطفِ منك وبالعَطْفِ
وتُحيي مُحبًّا أنتَ في الحُبِّ حتفُهُ وذا عجبٌ كونُ الحياةِ مع الحتفِ

نقل عن الجُنيد رحمه الله أنه قال: رأيتُ إبليسَ عليه اللعنة عُريانًا، وهو ينظرُ من رقبةِ شخصٍ إلى رقبةِ شخصٍ آخر، فقلت له: يا ملعون، أَلا تستحيي من أولئك الرجال؟! قال: هم ليس رجالاً، ولكنَّ الرجال هم الذين منهم واحدٌ في الشُّونيزية؛ فإنهم قد أَحرقوا كبدي. قال: فأتيتُ الشُّونيزية، فرأيت أبا حمزة في المُراقبة، فرفعَ رأسَه، وقال: كذبَ ذلك الملعون، فإنَّ أولياءَ الله هم أعزُّ من أن يطَّلعَ عليهم إبليس.

نقل أن أبا حمزة كان يكون محرمًا في تمام السنة، ولا يخرج من الإحرام في السنة إلاّ يومًا[٥].

نقل أنه قال: علامةُ الأُنس حصولُ الضجرةِ من المعاشرة مع الخلق.

وقال: الغريبُ من كانَ مُستوحشًا عن أقاربه وأصحابه.

---

(١) في (ب): بالكف من بالتلف. مكررة.
(٢) الأبيات في الرسالة القشيرية ٢٧٢ (التوكل)، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢١، مناقب الأبرار ٦٢٨.
(٣) في (أ) و(ب): نهاني جنوني أن أكتم، والمثبت من مصادر الخبر.
(٤) في (أ) و(ب): إلى غايتي.
(٥) الخبر ليس في (ب).

وقال: من استوحشَ عن نفسه استأنسَ قلبُه مع الله.

وقال: من استشعرَ الموتَ أحبَّ كلَّ شيءٍ يبقى له، ويبغضُ كلَّ شيءٍ يزولُ ويفنى.

قيل: استوصاهُ شخصٌ، فقال: تزوَّدْ كثيرًا، فإنَّ بين يديك سفرًا طويلاً.

توفّي رحمه الله في نيسابور سنة تسعين ومائتين، ودفن في جنب الشيخ أبي حفص الحداد.

نوّرَ اللهُ مراقدهم بأنوار رضوانه، وجعلنا من الفائزين برحمته ولطفه وإحسانه، بمنِّهِ وكرمه وامتنانه، وصلّى الله على سيدنا محمّدٍ وآله وصحبه أجمعين.

* * *